القلع الطقوسي للأسنان عند سكان بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث

Ritual extraction of teeth among the inhabitants of the Maghreb during the Late Paleolithic and Neolithic eras

La pratique rituelle de l'avulsion dentaire chez les habitants de l'épipaléolithique et du néolithique du Maghreb

د. فريدة اوزاني

معهد علم الآثار، جامعة 2

تاريخ الإرسال: 27-02-2022 - تاريخ القبول: 20-03-2022 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

تعتبر ممارسة القلع الطقوسي للقواطع عند شعوب بلاد المغرب ظاهرة سائدة في مراحل العصر الحجري القديم المتأخر (الأيبرومغربي والقفصي) والعصر الحجري الحديث. في هذا البحث، قمنا بدراسة توزيع هذه الممارسة من الناحية الجغرافية والكرونولوجية خلال الفترات المذكورة أعلاه. واعتمدنا على فحص مجموعة البقايا السنية، وعلى أبحاث سابقة متعلقة بنفس الموضوع. واستنتجنا من خلال هذا الفحص أنّ ظاهرة القلع الطقوسي، تخص القواطع المركزية على معظم أشخاص المرحلة الإيبيرومغربية وعلى أسنان الفك العلوي فقط عند كلا الجنسين. أمّا في الفترة القفصية فلاحظنا هذا القلع على القواطع العلوية والسفلية وعند الإناث أكثر مما هو عليه عند الذكور، كما سجلنا أن هذه الممارسة تخص حتى الصغار في السن، حيث أثبتت الأبحاث أنّ هذه الظاهرة مسّت الأطفال والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم من 05 سنوات إلى 16 سنة. أمّا خلال مرحلة العصر الحجري الحديث فهذه الظاهرة تكاد تنعدم، إذ لم يتم ملاحظتها على معظم أشخاص هذه المرحلة.

الكلمات الدالة: القلع الطقوسي للأسنان؛ العصر الحجري القديم المتأخر؛ العصر الحجري الحديث؛ بلاد المغرب.

Abstract

The practice of ritual extraction of incisors among the inhabitants of the Maghreb was a prevalent phenomenon during the different phases of the late Paleolithic, including the Iberomaurusian and Capsian periods, and continued into the Neolithic period . In this research, we study the geographical and chronological distribution of this practice for various methods of the ritual extraction of teeth, during the

above-mentioned periods. This is based on our own examination of a group of dental remains, as well as on previous research related to this topic. Based on this examination, we observed that the ritual extraction of teeth relates to the central incisors on most people of the Ibero Maghrebi stage, and it was mainly observed in the upper jaw, in both males and females. As for the Capsian period, we noticed ritual extraction in both the upper and lower incisors, and in females more than in males. We even observed such practice in young people. Previous research has proven that this phenomenon affected children and adolescents between the ages of 5 and 16 years. However, during the Neolithic period, this phenomenon was almost non-existent, as it was not observed in most people from this stage.

Keywords: ritual extraction of teeth; upper paleolithic; neolithic; maghreb region.

Résumé

La pratique de l'avulsion rituelle des incisives chez les habitants du Maghreb est un phénomène prédominant durant les différentes phases de l'épipaléolithique (Ibéromaurusien et Capsien) et s'est poursuivi jusqu'au Néolithique. Dans cette recherche, nous étudions la répartition géographique et chronologique de cette pratique par l'utilisation de différentes méthodes d'extraction rituelle des dents. C'est constat que nous avons relevé de notre propre examen d'un groupe de restes dentaires et de l'exploitation des recherches antérieures sur le même sujet. Dans ce cadre, nous avons observé que l'extraction rituelle des dents porte sur les incisives centrales chez la plupart des personnes de la période Iberomaurusienne et uniquement sur les dents de la mâchoire supérieure, pour les deux sexes. Quant à la période capsienne, nous avons observé une extraction rituelle sur les incisives supérieures et inférieures et chez les femmes plus que chez les hommes. Nous avons également relevé l'usage de cette pratique chez les jeunes. Des recherches antérieures ont prouvé que ce phénomène affecte les enfants et les adolescents, âgés de 5 à 16 ans. Quant à la période néolithique, ce phénomène est presque inexistant, car il n'a pas été observé chez la plupart des personnes de cette période.

Mots-clés: avulsion dentaire; rite; épipaléolithique; néolithique; Maghreb.

مقدمة

يعتبر قلع الأسنان قبل الموت من الظواهر التي تمّ ملاحظتها على بقايا أشخاص موجودة في المواقع الأثرية التي تعود إلى مرحلة ما قبل التاريخ في بلاد المغرب. تُعد هذه الممارسة ظاهرة طقوسية كان يمارسها سكان هذه المواقع في العصر الحجري القديم المتأخر (الإيبرومغربي والقفصي) والعصر الحجري الحديث.

وفي هذا الصدد، بيّنت الجماجم البالغة التي تعود إلى ما قبل التاريخ والتي تمّ العثور عليها في مواقع بلاد المغرب، أنّها قد فقدت قاطعة أو اثنان وأحيانا كل القواطع. وأشار العلماء إلى أنّ فقدان هذه الأسنان هو نتيجة القلع العمدي وأنّ هذه العملية قد تمّت قبل موت الشخص (لوحة 1). ونظرا لدرجة التئام النخاريب، استنتج الباحثون أنّ هذه الظاهرة قد تمّت في سن مبكرة. إضافة إلى أنّها ربما تُعبر عن انتقال الشخص من سن الطفولة إلى سن البلوغ إذا ما أخذت بعين الاعتبار نفس الممارسة عند الشعوب البدائية الحالية حسب ما جاء عند بعض الباحثين (Briggs L.C., 1951; Camps-Fabrer, H. 1966).

لوحة 1: قلع القواطع العلوية والقواطع والأنياب السفلية على جمجمة خنقة الموحد

المصدر: عن الباحثة

يعتبر قلع الأسنان ممارسة طقوسية تمّ ملاحظتها على الكثير من المجموعات البشرية عبر العالم بصفة عامة منذ فترة ما قبل التاريخ واستمرت إلى غاية الفترات التاريخية على المجموعات البشرية البدائية، كما ذكر عند الكثير من الباحثين. وترتكز أساسا هذه

الممارسة على القلع العمدي للقواطع الأمامية عند شعوب افريقيا الشمالية بصفة خاصة منذ العصر الحجري القديم المتأخر.

(Camps, 1974 ; Humphrey ; Bocaege 2008 ; Bocquentin F. 2011 ; Hadjouis , 2011).

نسعى من خلال هذه الدراسة للتعرف على مختلف حالات هذا القلع الطقوسي للقواطع ومدى استمرارية هذه الممارسة عند سكان مواقع العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث لبلاد المغرب.

1. تحديد الفترة التاريخية

1.1 العصر الحجري القديم المتأخر

عمّرت بعض الأنواع الإنسانية الأساسية بلاد المغرب خلال مراحل مختلفة فيما قبل التاريخ، تمثّلت في العصر الحجري القديم المتأخر (الإيبرومغربي والقفصي) ومرحلة العصر الحجري الحديث. وكانت هذه الأنواع محل دراسات عديدة من بينها دراسة الباحثين L.Cabot Briggs سنة (1955) والباحثة M.C. Chamla (1978) التي سمحت لنا الحصول على نظرة شاملة عن تطور شعوب شمال إفريقيا خلال المراحل الذكورة.

(Chamla, 1978, p387)

وتعتبر فترة الإيبرومغربي وفترة القفصي، مرحلتان ثقافيتان مُهمتين من العصر الحجري القديم المتأخر، لتميُّزهما بصناعة حجرية نموذجية خاصة لكل واحدة منهما. إذ تنتشر أغلب المواقع الإيبرومغربي في المناطق الساحلية والتليّة، ويمتدّ تاريخها عبر آلاف السنين. حيث عرف أقدم تأريخ في موقع تافورالت (13750 ق.م المستوى 12) وفي موقع الحامل (7590 ق.م. الطبقة E). أمّا أقدم تأريخ القفصي فيرجع إلى 7350 ق.م.، في موقع عين الناقة ومجاز 2 سنة 6910 ق.م. بينما أحدث تأريخ له فيرجع إلى 4500 ق.م. بموقع المرموتة.

وبناء على هذا، فإنّ مرحلة العصر الحجري القديم المتأخر مرحلة طويلة يتراوح تأريخها ما بين ألف الأربعة عشر سنة إلى ألف الخامسة (Camps, 1973-1974). وقد تمّ استخراج من مختلف مواقعها بقايا عظمية إنسانية ذات مورفولوجية مختلفة تدل على تنوع شعوب هذه الفترة. وقد كانت هذه البقايا مجال دراسة العديد من الباحثين (Chamla M.C.، 1978). ويعتبر أهم نوعين فيها، نوع مشتى أفالو ونوع شبه المتوسطي، مع وجود اختلافات ضمن كل نوع. ومما يجب الإشارة إليه وكما بينته الدراسات الأثرية هو تلك الظاهرة

الثقافية التي كانت تميّز الإنسان القفصي كما ميّزت الإنسان الإيبرومغربي من قبل، وهي ممارسة القلع الطقوسي للأسنان حيث نجد نزع القواطع العلوية أو السفلية والعلوية **معا**. (Aranbourg C. 1934 ; Briggs L.C. 1955 ; Chamla M.-C. 1970)

2.1. مرحلة العصر الحجري الحديث

أمّا العصر الحجري الحديث فقد تمّ تأريخه بين الخامسة وألف الثالثة وهي مرحلة تراجع لنوع فجر المتوسطي الخشن بصفة تدريجية في شمال إفريقيا والمزامنة لنوع المتوسطي الأكثر نحافة، والمختلف عن نوع فجر المتوسطي ومشتى أفالو اختلافا تاما. وقد أثبتت الأبحاث تمركزه خاصة في المواقع الغربية (واد قتارة، تروقلوديت، ريوسلادو، الخ.). كمّا ظهر في الجهة الشرقية نوع آخر، مختلف تماما يُعرف بالنوع الزنجي (موقع رديف بتونس) مع استمرار نوع مشتى أفالو بصفة قليلة، وسيادة نوع فجر المتوسطي النحيف بدون اختفاء النوع الخشن، المشابه لأشخاص المواقع القفصية. أمّا فيما يخص ظاهرة القلع الطقوسي التي كان تمارس من طرف الايبرومغربيين فهي استمرت في هذه المرحلة إلاّ أنّها تكاد تختفي، إلاّ في المنطقة الغربية أين وجدت آثار القلع الطقوسي بشكل كبير.

شكل1: توزيع المو اقع الإيبيرومغربية والقفصية لبلاد المغرب

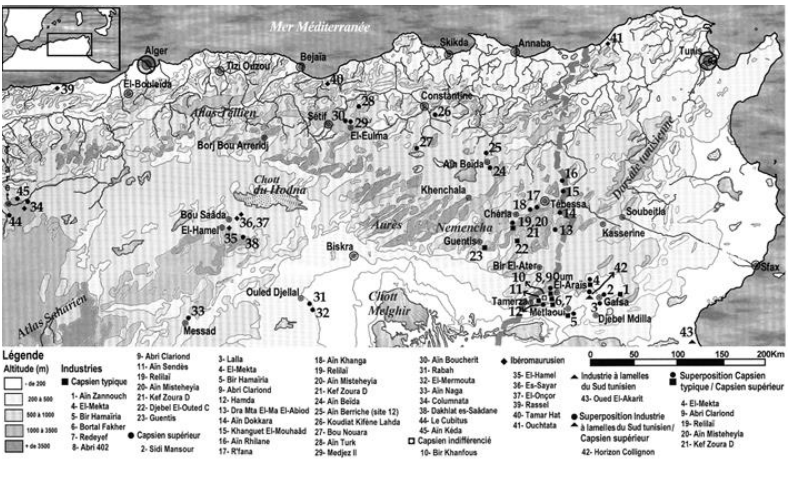

المصدر: (Rahmani N., 2004, p.346)

لقد تمّ التعرف على ممارسة القلع الطقوسي للقواطع في المواقع الأثرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر والنيوليتيك لبلاد المغرب منذ الأبحاث الأولى المتعلقة

بهذه العصور. فقد أشير إليها في سنة 1907 عند اكتشاف البقايا الإنسانية في الموقع القفصي مشتى العربي بشلغوم العيد (Mercier G., 1912)، وبقايا موقع عيون بريش بعين بيضاء (A. E. Jenks et A.W. Pond) في 1929-1930. وبعدها استمرت الاكتشافات حيث تمّ استخراج بقايا إنسانية عديدة تميّزت بقلع القواطع على الفك العلوي أو على كلا الفكين حيث لوحظ انتشار هذه الظاهرة بصفة واسعة على أشخاص المواقع الإيبرومغربية والقفصية، أمثال: مقبرة أفالوبورمل ببجاية (Arambourg, et al., 1934)، وفي مقبرة كولومناطة بتيارت (Chamla, 1978)، ومقبرة تافورالت بالمغرب الأقصى (Ferembach, 1969). ولم ينحصر هذا القلع على القواطع فقط وإنما توسع إلى النابين السفليين في موقع خنقد الموحد بتبسة (Briggs, 1953).

2. عرض ومناقشة النتائج

ومن أجل الإحاطة بالموضوع، وما نتج عنه من الأبحاث والأعمال، قمنا بحصر وتمييز القلع الطقوسي للقواطع على عيّنة من الهياكل العظمية الإنسانية التي تنتمي إلى حوالي 72شخص موزعة على مختلف المواقع الأثرية. وسمحت لنا معاينة هذه البقايا باستخلاص ملاحظات تخص هذه الممارسة، وكيفية توزيعها حسب نوع الفك وحسب الجنس والسن، ثم تمّ ادراج النتائج ضمن الجدول رقم 1 (أوزاني، 2007).

جدول رقم 1: البقايا التي تمثل مادة الدراسة

الباحث	تاريخ الاكتشاف	المنطقة	البقايا الأنثروبولوجية	مكان الحفظ
G.Vuillemot	1953	راشغون (بني صاف)	H1 مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH
G.Camps et Camps Fabrer	1954	راشغون	H2 مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH
M.Couvert	1963	راشغون	H3 مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH
G.Camps	1964	راشغون	H4 امرأة من نوع متوسطي (شخص بالغ)	الباردو
P.Vidal	1936 - 1934	المغارة المنخفضة للمنار (تنس)	مشتى العربي (L.Balout) (شخصان بالغان وطفلان)	CNRPAH
P.Cadenat	1938- 1939-1961	كلومناطة (تيارت)	H10/a رقم 99 ذكر من 20إلى30 سنة, مشتى أفلو (شخص بالغ)	الباردو
C.Brahimi	1970	راسل (تبازة)	الموقد الأعلى الأسمر' مشتى أفلو (شخص بلغ)	CNRPAH
P.Rodary	1938	كف أم التويزة (قسنطينة)	رقم 1,(Ep.1618) كهل راشد, مشتى العربي (شخص بالغ)	الباردو
P.Rodary	1938	كف أم التويزة	رقم 1 6' أسنان منعزلة	CNRPAH
M.Martin, L.Balout, Laplace J.	1953	سانت دونات (قسنطينة)	رقم 5 (1957), رقم 10(1957) حالة الحفظ لم تسمح بالتعرف على نوع البقايا (شخصان بالغان)	CNRPAH
Mecier	1912	مشتى العربي (شلغوم العيد)	رقم 3 كهل ذكر ورقم 38 امرأة نموذجية لنوع مشتى العربي فهي الرقم IV لِ Mercier 1912 (شخصان بالغان)	الباردو
M.Verguet	1962	مجاز I (العلمة)	كهل راشد(بين 18و20سنة) شبه متوسطي (شخص بالغ)	CNRPAH
		مجاز II	شخص بالغ	الباردو
M.G.Laplace	1954	فايد السوارا (قسنطينة)	H1 رقم 15 وH2 رقم 15 متوسطي	CNRPAH
البعثة الأمريكية	-	واد مدفون(الموقع 10) (عين بيضاء)	موقع 10, موقع 10, موقع 10(S-SW-B) ثلاث أطفال	CNRPAH
البعثة الأمريكية A.W.Pondو A.E.Jenks	1930-1929	عيون بريش(الموقع12) (عين بيضاء)	رقم 72كهل لا ينتمي إلى نوع مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH

الباحث	تاريخ الاكتشاف	المنطقة	البقايا الأنثروبولوجية	مكان الحفظ
البعثة الأمريكية A.W.Pondو A.E.Jenks	1930-1929	الموقع 12 (عيون بريش)	12A-I-H, 12H15 sh.Nash, 12WM1 sk#L.Jaws, NW11,12,13 WM78, WM79, 3EM60 (شخص بالغ واحد وخمس أطفال)	CNRPAH
P.Pallary	غير معروف	تبسة 3200كلم؟	كهل (مؤنث) نوع مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH
J.Morel	1944	خنفة الموحد (تبسة)	1/ رقم 34 (Ep.1527) متوسطي ذو نموذج زنجي(L.Cabot Briggs, 1953) (شخص بالغ)	الباردو
البعثة الأمريكية		العوبيرة (تبسة)	طفل	CNRPAH
R.Le Du et E.Seree de Roch	1937-1936	بكارية (تبسة)	رقم 22(رمادية السد رقم III) كهل مؤنث, لا ينتمي إلى نوع مشتى العربي(L.Balout, 1955) (شخص بالغ)	CNRPAH
M.Reygasse	غير معروف	بئر أم علي (تبسة)	رقم 5 لا ينتمي إلى نوع مشتى العربي(L.Balout, 1955) (شخص بالغ)	CNRPAH
P.Pallary	غير معروف	ريوسلادو (عين تيموشنت)	عدّة أشخاص تنتمي إلى نوع مشتى العربي (13 أشخاص بالغين وطفل واحد) (n,m,l,k,I,h,g,f,V,IV,III,II,I) و2أسنان منعزلة	CNRPAH
P.Pallary	1886	تروقلوديت (وهران)	رقم 69مشتى العربي (شخصان بالغان)	CNRPAH
F.Doumegue et P.Pallary	1893-1892	الكوارتل (وهران)	رقم 68مشتى العربي (شخص بالغ)	CNRPAH
R.de Bayle et Mme de Bayle	1955	عين قادة (تيارت)	عدّة أشخاص تنتمي إلى نوع مشتى العربي(I, H8, و 35أسنان منعزلة (H8)، و20 منعزلة(H1، H4) شخصان بالغان)	CNRPAH
Bellin et Castellani	1952	شمبلان (المدية)	Ep 756 النوع غير محدد (شخص بالغ)	الباردو
P.Barbin	1947	كف العقاب (تونس)	عدّة أشخاص تنتمي إلى نوع المتوسطي (H.V.Vallois, 1953) (I، II، III، IV، V، VII، VI).(10 أشخاص بالغون)	CNRPAH وEp.1632 في الباردو
E.G.Gobert	1912	رديف (تونس)	3 أشخاص تعود إلى النوع الزنجي(Dr Bertholon) (شخصان بالغان)	CNRPAH
M.Reygasse	غير معروف	المحدر (باتنة)	رقم 99 لا ينتمي إلى نوع مشتى العربي(L.Balout) (شخص بالغ)	CNRPAH

المصدر: عن الباحثة

ويبيّن الجدول رقم 3 والذي يلي، مختلف حالات القلع الطقوسي للقواطع التي تمّ ملاحظتها على عيّنة الدراسة، إضافة إلى الإشارة إلى جنس وسن هذه الأشخاص. واستوجب علينا في هذه المرحلة من البحث، الإشارة إلى بعض الاختصارات لفهم الجدول رقم3، فيما يخص تسمية الأسنان حسب الفيديرالية العلمية للأسنان (F.D.I.) وهي كالآتي (الجدول رقم2):

جدول رقم 2: تسمية الأسنان حسب F.D.I.

21: قاطعة مركزية يسرى علوية	11: قاطعة مركزية يمنى علوية	12: قاطعة جانبية يمنى علوية	22: قاطعة جانبية يسرى علوية
31: قاطعة مركزية يسرى سفلية	41: قاطعة مركزية يمنى سفلية	32: قاطعة مركزية يسرى سفلية	42: قاطعة مركزية يمنى سفلية
33: ناب أيسر سفلي	43: ناب أيمن سفلي		

المصدر: عن الباحثة

جدول رقم3: القلع الطقوسي للأسنان عند مختلف الأشخاص حسب السن والجنس

الأشخاص	الجنس	السن	الفك العلوي	الفك السفلي	الفكان (العلوي والسفلي)	المجموع
راشغون(Ep.1617)	أنثى	أكثر من 25 سنة	11 و21	-	-	2
راشغون(H1)	ذكر غير مؤكد	أكثر من 25 سنة	11 و21	-	-	2
راشغون(H2)	؟	أكثر من 12 سنة	11 و21	-	-	2
راشغون(H3)	ذكر	أكثر من 25 سنة	11و 21 و 12	-	-	3
كلومناطة رقم 99(H10)	ذكر	أكثر من 20 سنة	11 و21	31، 41	2>و 2>	4
راسل (الموقد الأعلى الأسمر)	ذكر	أكثر من 45 سنة	-	31، 41 و32، 42	-	4
كف أم تويزة رقم 1	ذكر راشد	أقل من 30 سنة	11	-	-	1
مشتى العربي رقم 3	كهل ذكر	أكثر من 25 سنة	11 و21	41 و31	2>و 2>	4
مشتى العربي رقم 38	إمرأة ؟	أكثر من 25 سنة	11 و21	41 و 31	2>و 2>	4
أعيون البريش رقم 72	كهل ذكر	أكثر من 25 سنة	11، 12و21، 22	41، 42، 31، 32	4>و 4>	8
موقع Nash H15 12 sk	؟	أكثر من 25 سنة	21 و22	-	-	2
تبسة كلم 3200	أنثى	أكثر من 25 سنة	11		-	1
خنقة الموحد رقم 34 (Ep1527)	أنثى	30 سنة	11، 12و21، 22	41، 42، 31، 32 و 33، 43	4>و 6>	10
ريو سلادو 1	؟	أكثر من 25 سنة	11، 21		2>	2
ريو سلادو 2	؟	أكثر من 25 سنة	11، 21	41 و31	2>و 2>	4
ريو سلادو 3	؟	أكثر من 25 سنة	21		-	1
ريو سلادو 4	؟	أكثر من 25 سنة	11، 21		-	2
ريو سلادو 5	؟	أكثر من 25 سنة	11		-	1
ريو سلادو 6	؟	أكثر من 25 سنة	11		-	1
ريو سلادو 7	؟	أكثر من 25 سنة	11		-	1
تروقلوديت رقم 69	؟	أقل من 25 سنة		41 و31	-	2
الكوارتل رقم 68	؟	أكثر من 25 سنة	11		-	1
عين قادة رقم 1	؟	أقل من 25 سنة		41 و31 و32	-	3
عين قادة H8	؟	؟		41 و31	-	2
شمبلان (Ep756)	ذكر	أكثر من 25 سنة	11، 12و21، 22	41، 42، 31، 32	4>و 4>	8
كف العقاب ا	ذكر	أكثر من 25 سنة	21 و 22			2
المحدر رقم 9	-	-	21 و 22	41، 42، 31، 32	2> و4>	6
المجموع	-	-	**46**	**37**	**50**	**83**

المصدر: عن الباحثة

تميّزت فكوك أشخاص هذه المواقع بقاعدة سنيّة ناقصة بسبب فقدان للأسنان ممثل في قلع قاطعة واحدة أو اثنين حتى أربعة على الفك العلوي عند الايبرومغربيين أو على الفكين معا عند القفصيين، وهذا ما يعرقل دراسة إحصائية دقيقة في هذا المجال.

في المرحلة الايبرومغربية التي ينتمي إليها الانسان من نوع مشتى أفالو، تمّ ملاحظة قلع القواطع المركزية العلوية (راشغون H_1, H_2, H_4)، وقلع القواطع المركزية والجانبية معا (راشغون H_3)، وفي الحالات القليلة هناك قلع القواطع السفلية الأربعة (راسل الموقد الاعلى الأسمر)، وقلع المركزية العلوية والسفلية (كلومناطة H_{10})[1].

أمّا في المرحلة القفصية، فقد تمّ ملاحظة قلع القواطع المركزيةالعلوية والسفلية (مشتى العربي 3 و38)، وقلع القواطع المركزية والجانبية العلوية والسفلية (عيون بريش 72). ومما يجب الإشارة إليه هو الحالة الفريدة من نوعها التي تمّ ملاحظتها على شخص خنقة الموحد 34 هو قلع القواطع الأربعة العلوية وقلع القواطع السفلية والأنياب السفلية. وهذه الظاهرة لم تلاحظ لا على الاشخاص القفصية ولا على الأشخاص الإيبرومغربية من قبل.

وفي مرحلة العصر الحجري الحديث، كان قلع الأسنان على القواطع المركزية العلوية والسفلية (ريوسلادو)، وقلع القواطع المركزية والجانبية العلوية والسفلية (شمبلان Ep756، المحدر 9). هذه الممارسة لم تخص جنس معيّن وإنّما تمّت على الرجال والنساء دون تمييز عند الإيبرومغربيين، عكس ما لوحظ عند القفصيين حيث كان القلع الطقوسي يخص النساء في أغلب الحالات.

استنادا على الملاحظات السابقة الذكر حول مجموعة الدراسة وحتى يتسنى لنا ضبط الموضوع من شتى جوانبه والإلمام بكل تفاصيله، اعتمدنا على تفحص ودراسة ما وُرد حوله من أعمال في هذا المجال حول ممارسة القلع الطقوسي للأسنان. فنجد أنّ الشعوب الإيبرومغربية قد مارست عملية القلع على الفك العلوي عند الرجال والنساء

[1] ملاحظة: تحتوي هذه البقايا العظمية على فكوك مجزأة وناقصة (تارة الجزء الأيسر، وتارة الجزء الأيمن)، لدى حسبنا فقط القلع الطقوس الذي على جزء الفك الموجود.

أما الشعوب القفصية فقد تمّ على مستوى الفكين، وخصت النساء دون الرجال في الغالب إلاّ في حالة واحدة التي وجدت في "عيون بريش"، أين عثر على رجل واحد منزوع القواطع الثمانية.

وأما المجموعة الإنسانية التي عثر عليها في مغارة "أفالو" (بجاية)، فهي تعتبر أول مجموعة دُرست عليها هذه الحالة، من طرف الباحثين (Briggs, Vallois, Boule)، حيث استنتجوا أن كل شخص من هذه المجموعة قد تمّت عليه عملية القلع، وعلى مستوى الفك العلوي. (Briggs, Vallois, Boule, 1934).

وفي نفس الموقع، تمّ ملاحظة جمجمة شخص عمره (ما بين 12 و14 سنة) وعلى جمجمة أخرى عمرها (حوالي 16 سنة) أنّ قواطعهما الدائمة لم تقتلع، بينما جمجمة أخرى عمرها (ما بين 14 و16 سنة) وجمجمة امرأة شابة (18 سنة) أنّه قد تمّ عليهما قلع القواطع الدائمة المركزية، ومن بين أربعة جماجم أطفال، عثر على جمجمة واحدة في العمر5 سنوات قد فقدت القاطعة العلوية اليسرى المؤقتة، وأنّ نخروبها قد التأم كلّية مع بقاء السن الدائمة مغروسة في العظم النخروبي، لكن تعتبر هذه الحالة خاصة لأنها يمكن أن تدل على فقدان الطفل للقاطعة إِثْر حدث ما أو قلعت عن قصد.

واستنتج الباحثون من كل ما ذكر سالفا، أنّ عملية نزع الأسنان عند سكان أفالو هي عملية طقوسية تعمل على تأهيل الطفل إلى فترة البلوغ (Briggs, Vallois, Boule, p133, 1934).

وفيما يخص المجموعة الإنسانية التي عثر عليها في موقع "مشتى العربي" فهي تعتبر الجمجمة النموذجية في هذا الموقع، وهي الجمجمة الفاقدة للقواطع المركزية الأربعة، والتي التأمت نخاريبها بشكل جيّد مع ترك فراغ لا بأس به في الفك العلوي. أمّا في الفك السفلي فإنّ القواطع الجانبية قد أخذت مكان القواطع المركزية المنزوعة (صورة رقم 2). وحسب تفسير هذه الحالة فإن القلع قد حصل في سن مبكرة جدا نظرا لِشدّة توّغل القواطع الجانبية نحو مكان القواطع المركزية.

وأكّد الباحث Briggs من خلال قراءته للتصوير الإشعاعي الذي قام به الباحث Margolis، أنّ القواطع الجانبية المتوغلة نحو مكان القواطع المركزية، قد انتقلت بدون أن تفقد عمودِيَتها. فهذا دليل إضافي على أن القلع قد تم في مرحلة جدّ مبكرة وقد حددت

ما بين الثامنة أو التاسعة من عمر الشخص، عكس ما جاء في بحث الدكتور Siffre (1914)، أنّ عملية القلع يُحتمل أنّها قد تمّت ما بين السن 10 و12 سنة (Briggs, 1951, p116).

صورة 2: المرأة والرجل النموذجان لنمط مشتى العربي (منظر أمامي)
(قلع القواطع الأربعة العلوية والقواطع السفلية المركزيتان مع هجرة الجانبية نحو الفراغ وبالتالي نقص في المساحة)

المصدر: Camps G., 1988

بينما الجمجمة رقم (2) حسب مجموعة الباحث Bertholon لموقع مشتى العربي (صورة رقم 3) فإنّها تحمل نفس ملاحظات الجمجمة النموذجية وهي:

- أن الفراغ الذي سببه قلع القواطع واسع نسبيا، فهو يصل إلى 12 مم في الفك العلوي و3 مم في الفك السفلي.
- وأنّ القاطعة الجانبية اليسرى للفك السفلي لا تحمل أثر عملية التآكل من جزء الأبعد الأيسر من تاجها، لكنّها تحمله في الجزء الأوسط من المساحة بسبب اتصالها بالقاطعة الجانبية اليسرى للفك العلوي. ومقارنة بالجمجمة النموذجية نجد أن الجمجمة رقم (2) في حالة حفظ جيدة، حيث نلاحظ ميول الأسنان العلوية نحو الأمام، ونحو الأسفل بينما الأسنان السفلية التي توّغلت نحو الوراء قد حافظت على وضعيتها العادية.

ويرجع الباحث هذه الظاهرة إلى ميزة الحافة النخروبية للفك السفلي كونها أنّها أكثر مطاطية (ليونة) من الحافة النخروبية من الفك العلوي في مرحلة الشباب، وأضاف متسائلا: "إذا لم يُمارس هذا القلع في مرحلتين متباعدتين زمنيا؟ (Briggs, 1951, pp 117-118).

أمّا جمجمة "عيون بريش" فإنّ حالة أسنانها مماثلة لأسنان الجمجمة "A" التي عثر عليها في مغارة الضباع (عين مليلة) حيث تتصف بـ:

- أنّ كل القواطع مقتلعة ويصل الفراغ الذي تركه هذا القلع إلى 25 مم في الفك العلوي و16 مم في الفك السفلي.
- وتسبب هذا القلع في ميول الأنياب العلوية نحو الفراغ، وأدى بالأسنان التي تليها إلى الميول أيضا. بينما أسنان الفك السفلي فقد حافظت على وضعيتها العمودية عدا الناب الأيمن (الناب الأيسر قد فقد بعد الموت) الذي مال نحو الفراغ السفلي بشكل طفيف.

إن الحركة النسبية والطفيفة للأسنان، إضافة إلى درجة الميول وأهمية الفراغ الذي ترك نتيجة اقتلاع الأسنان، بيّنت أنّ هذه العملية قد مورست في مرحلة قريبة من البلوغ (Briggs, 1951).

صورة رقم 3: جمجمة عيون بريش 1 (منظر أمامي)

(عن الباحثة)

صورة رقم4 : جمجمة A مغارة الضباع (منظر أمامي)

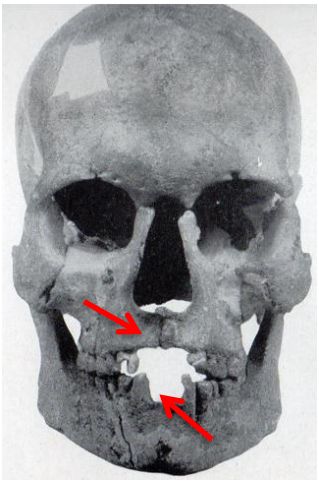

(عن L. C. Briggs, 1954 ص.139)

وتعتبر الجمجمة رقم (2) ضمن المجموعة التي عثر عليها في الموقع القفصي "بكارية 13" هي الوحيدة، (حسب قول الباحث L.C.Briggs) التي عانت من نزع الأسنان على الفك السفلي دون العلوي، تاركة بذلك فراغا يصل إلى 9 مم فأدى إلى انتقال الأسنان الأخرى

نحو الوسط دون أي ميول. ويحتمل أن عملية نزع الأسنان كانت تمارس على الشخص قبل بلوغه سن الرشد بفترة وجيزة حسب ما أضاف الباحث Briggs في هذا الموضوع (Briggs, 1951 ص.118).

وحتى تكتمل دراسة ممارسة نزع الأسنان التي تعبر عن مرحلة عنيفة من عمر الإنسان، يجب دراسة انتشارها حسب التمييز الجنسي وحسب انتشارها الجغرافي بمقارنتها بعدد الأسنان المنزوعة وبسبب اختيارها.

ومن خلال الجدول الذي يلي مباشرة (جدول رقم 4)، نوضح كل المعلومات التي أدرجها كل من الباحثان L.C.Briggs و H. I. Margolis على الجماجم الراشدة التي احتفظت على فكيْها بشكل جيد، وهذه التحاليل أدّت بهم إلى إدراج النتائج التالية (Briggs , 1951 ص.120):

- أنّ خلال فترة ما قبل التاريخ، مارست شعوب شمال إفريقيا والصحراء عملية قلع قاطعة واحدة أو كل القواطع بانتظام؛
- أنّ هذه الظاهرة كانت تمارس في أفالو ومواقع أخرى مباشرة بعد بلوغ الشخص سِن الرشد، أو مباشرة عند إسنان القواطع الدائمة عموما؛
- دفعت بعض المؤشرات إلى افتراض أنّ مرحلة نزع القواطع تمّت على مستوى الفكين وفي فترتين متباينتين (مشتى العربي النموذجي)؛
- من الممكن أن يعود اختيار قلع عدد مُعين من الأسنان إمّا إلى الطقوس الممارسة أو إلى الشخص الذي يقوم بهذه العملية، غير أن الدليل العلمي لم يفصل في هذه النقطة نهائياً؛

أثبت انتشار المواقع الجغرافية التي أعطت أشخاص منزوعي الأسنان ارتفاعا نسبيا، خاصة في المناطق القفصية، وفي المناطق الإيبرومغربية بالنسبة لإنسان مشتى أفالو. يحتمل أنّ فكرة قلع القواطع الأربعة للفك السفلي بالنسبة للمغرب لم تظهر إلاّ مع بداية العصر النيوليتي في الشمال وفي الشمال الغربي.

جدول رقم 4: ممارسة القلع الطقوسي على أسنان أشخاص ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا

الشخص	الجنس	الأضراس المقتلعة	
		علوية	سفلية
مغارة كوارتل	انثى	11 و 21	31 و41
مغارة بوليقون	غير محدد	11 و21	31، 32 و41، 42
ريو سلادو	؟	11 و21	31 و41
مغارةالخندق	؟	11 و21	0
مشتى "جمجمة نموذجية"	ذكر	11 و21	31 و41
مشتى العربي "رقم Bertholon 2"	؟	11 و21	31 و41
مشتى العربي "رقم Cole 2"	؟	11، 21 و12، 22	31، 41 ؟
مشتى العربي "رقم Cole 3"	؟	11 و21	31 و41
مشتى العربي "جمجمة I.P.H."	؟	11 و21	0
مغارة الضباع "A"	غير محدد	11، 21 و12، 22	31، 32 و41، 42
مسلوغ	غير محدد	11، 21	0
أعيون بريش "رقم 1"	ذكر	11، 21 و12، 22	31، 32 و41، 42
أعيون بريش "رقم 2"	أنثى	11، 21 و12، 22	31، 32 و41، 42
كودية الخروبة	أنثى	11، 21 و12، 22	31، 32 و41، 42
"خنقة الموحد رقم 2"	أنثى	11، 21 و12، 22	31، 32 و41، 42
"بكارية رقم 2"	؟	0	31، 41
أسلار	؟	11، 21	0

المصدر (M.C.Chamla، 1970) وبتصرف

ويبيّن الجدول رقم 5 توزيع القلع الطقوسي للأسنان بالأرقام حسب جنس الشخص وحسب الفك لأشخاص موقع أفالو بو رمل (بجاية) في الدراسة التي قام بها الباحثين Arambourg C.et al. 1934، وكانت النتيجة كالتالي:

جدول رقم 5: القلع الطقوسي لمجموعة موقع أفالو (بجاية)

العدد الأشخاص	الجنس		الأسنان المقتلعة	
الذكر	الأنثى	غير محدد	علوية	سفلية
3	**1**	-	11	-
15	**8**	**2**	11 و21	-
2	**1**	-	11 و21 + 21 و22	-
2	**1**	-	11 و21 + 21 و22	-

المصدر: (Chamla M.C., 1970)

- تمّ القلع على الجنسين
- خص القلع القواطع العلوية المركزية والمركزية العلوية والجانبية على نفس الشخص
- لم يتم القلع على أسنان الفك السفلى
- حتى وإن تمّ القلع على أسنان الإناث إلى أنّ أغلب الأشخاص الذين تمّت عليهم هذه العملية هم من الذكور.

خاتمة

ممارسة القلع الطقوسي للأسنان ظاهرة عرفها سكان بلاد المغرب فيما قبل التاريخ، هذا القلع خص القواطع المركزية العلوية في أغلب الحالات عند شعوب الايبرومغربية (راشغون H1، H2، H4) وقليلا ما امتدت إلى القواطع الجانبية (H3). هناك أيضا بقايا تحمل أثار قلع القواطع المركزية العلوية والسفلية معا (كلوموناطة H10)، ولوحظ أيضا قلع القواطع المركزية والجانبية السفلية معا (راسل).

أمّا عند الشعوب القفصية فكانت أغلب الحالات تخص القواطع المركزية والجانبية للفكين. مع هذا لوحظ حالة فريدة من نوعها وهي قلع الأنياب السفلية إضافة إلى القواطع العلوية والسفلية المعروفة عند هذه الشعوب (خنقة الموحد 34).

وحسب ما جاء عند مختلف الباحثين وما استنتج من العيّنة المدروسة، فإنّ هذه الظاهرة كانت تمارس على الرجال خلال المرحلة الإيبرومغربية وعلى النساء والرجال في المرحلة القفصية.

وأمّا فيما يخص السن التي كان يمارس فيها هذا الطقوس فاختلف فيه الباحثين، حيث جاء عنهم أنّ هذا القلع حصل بين 10 و12 سنة حسب Briggs في 1951، وبين 14 و16 سنة حسب الباحثان Vallois, et Boule في الدراسة التي قاموا بها على أشخاص موقع أفالو في 1934.

وبالرغم ما جاء عند بعض الباحثين أنّه قد تمّ ممارسة قلع القواطع الحليبية على الأطفال في السن 5 و6 (Hadjouis, 2011, p116) إلاّ أنّه غير مؤكد أن هذا القلع كان هدفه طقوسي حسب ما جاء به الباحثين .Boule et al خلال دراسة أشخاص موقع أفالو. إنّ ملاحظة هذه الظاهرة على طفلين تمّ اقتلاع قواطعهم المركزية العلوية الحليبية اليسرى، سببها حادثة وليس قلع عمدي.

وفيما يخص العينات التي قمنا بدراستها لم يتم ملاحظة هذه الظاهرة على الأطفال التي كانت ما تزال تحمل الأسنان الحليبية، وفقدان هذه الأخيرة كان بعد الموت، علما أنّ عينة الدراسة كانت تحتوي على 08 أطفال تحمل الأسنان الحليبية (المؤقتة).

وأخيرا، أكدت النتائج التي توصلنا إليها حول القلع الطقوسي للقواطع أنّها ظاهرة طقوسية مارسها الانسان منذ المرحلة الإيبرومغربية وبعدها عند القفصيين واستمرت حتى مرحلة العصر الحجري الحديث لكن بصفة قليلة، ومُرست على الذكر والأنثى لكن بنسب متفاوتة، في البداية كانت تخص الفك العلوي فقط ثم لحقت بالفك السفلي أو الفكان معا في نفس الوقت. وكانت تُمارس في سن صغيرة حيث كانت ترمز إلى مرحلة انتقالية بين الطفولة والمراهقة، كما جاء عند الكثير من الباحثين أمثال (Briggs 1951, 1953, ... Vallois et briggs 1934 ; Camps Fabrer1966, Hadjouis D. 2011)

إنّ النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع ليست نهائيا بل لا تزال في حاجة إلى بحث ودراسة معمقين لكي نستطيع أن نلّم بالموضوع من جميع النواحي ويستوفى ما تبقى من جوانبها، التي تتطلب هذه الأخيرة دراسة معمقة مثل التصوير الإشعاعي بالأشعة السينية للفكوك، دون أن نتغاضى عن جانب مهم جدا في هذه الموضوع وهو أنّ ممارسة القلع الطقوسي للأسنان أدّت إلى تغيير مورفولوجية الجمجمة والفك السفلي وعدم تطابق الجمجمة والوجه (Hadjouis, 2002, 2003, 2011)، وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار في كل تحليل.

المراجع

1.فريدة أوزاني، 2007. التغذية عند إنسان العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث في المغرب (الجزائر وتونس). دراسة فاحصة للأسنان والأمراض السنية، رسالة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر2، 2008/2007. ص. 220

2. Arambourg C.; Boule M.; Vallois H.; Verneau R., 1934. *Les grottes paléolithiques des Beni Segoual (Algérie*), Arch. Inst. Paléont. Hum. 13, Masson, Paris.
3. Balout L.; Briggs C.; 1951. Mechta el Arbi, Trav. Lab. Anthropol. Archéol. Préhist. Mus. Bardo Alger.
4. Balout L., 1954. Les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara: Inventaire descriptif et critique, *Libyca*, 2, p.215.
5. Bocquentin F., 2011. Avulsions dentaires et identité régionale chez les natoufiens, *Tüba-Ar: Turkish Academy of Sciences Journal of Achaeology)* 14, p. 261-270.
6. Briggs L.C., 1951. Tête osseuse de Mechta el-Arbi, *Trav Labor D'Anthrop Et d'Archéol Préhist Musée du Bardo IV*.
7. Briggs L.C., 1953. Tête osseuse du Khenguet El Mouhaad, Fouille J. Morel, Libyca 1 : 120-140.
8. Briggs L.C., 1954. Deux têtes osseuses de la colection, Debruge Le « crâne type » de Mechta el Arbi et le crâne « A » de la grotte des Hyènes), *Libyca* t.2. : 121-149.
9. Camps G., 1974. *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*. Ed. Doin, Paris, 407 p.
10. Camps-Fabrer H., 1966. *Matière et Art Mobilier dans la préhistoire Nord-Africaine et Saharienne*, Paris: Arts et Métiers Graphiques, 623 p.
11. Chamla M.C., 1970. *Les Hommes Epipaléolithiques de Columnata,* Mémoire du C.R.A.P.E., 15, AMG, Paris, 132p.
12. Chamla M.C., 1978. Le peuplement de l'Afrique du nord de l'épipaléolithique à l'époque actuelle. *L'Anthropologie* 82(3):385-430.
13. Chamla M. C., et Ferembach D., 1988b. Anthropologie, partie *II),* in : *Encyclopédie Berbère* Anacutas- Anti-Atlas, 5, Edisud édit., Aix-en-Provence, pp.713-775.
14. Hadjouis D., 2011. *Les hommes de Mechta Afalou d'Algérie*. Ed. CNRPAH, série n°14.
15. Humphrey L. and Bocaege E., 2008. Tooth Evulsion in the Maghreb: Chronological and Geographical Patterns. African, *Archaeological Review* 25(1):109-123.